قطوف وخواطر

الصفحة الثالثة عشرة: أرقام الخواطر من 121- 130.

بسم الله الرحمن الرحيم

121- قصتي بعد الممات!

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وبعد.

فقد أطلعتني طفلتي وتلميذتي وقرة عيني " ظلال " على قصة خطتها بأنامل يديها الناعمتين الصغيرتين، بعنوان " قصتي بعد الممات " .. وما إن اطلعت عليها وعلى صدق وبراءة كلماتها .. إلا ووجدت نفسي دامع العينين .. مشدوداً لنشرها .. عسى الله تعالى أن ينفع بها .. ويجعل ما كتبت في عداد حسناتها.

وها أنذا أدعك أيها القارئ مع قصتها الجميلة " قصتي بعد الممات ".

قصتي بعد الممات!

منذ أسبوع وأنا على فراشي أتألم من وجع المرض الذي قدر الله تعالى أن يصيبني به، واليوم لقد تضاعفت علي الآلام .. أرقد وأستيقظ .. وعندما استيقظت رأيت جميع أفراد عائلتي واقفين حولي وفوق رأسي .. ينظرون إلي نظرة مودع لا لقاء بعده .. كانت أمي تبكي كثيراً .. وأبي كان حزيناً جداً يُغالب دمعه ليمنعه .. كان أبي يكرر علي السؤال: " هل تريدين شيئاً يا ابنتي نور الهدى؟" وكنت أجيبه: " دعواتك يا أبتي"!

تذكرت أن الطبيب أخبرني قبل ثلاثة أيام بأن مرضي لن يمهلني طويلاً .. حالتي قد استعصت على الدواء .. لذا علي أن أعد العدة للرحيل والحساب ..!

كانت مسبحتي لا تفارق يدي .. أواصل التسبيح والتكبير والتهليل والاستغفار .. فجأة اشتد علي الوجع .. بدأت بالأنين .. والعرق يتصبب مني بشدة .. عرفت حينها أن سكرة الموت قد دنت وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقّ .

تذكرت فضل من كان آخر كلامه لا إله إلا الله ..
بدأت أجمع قواي لأنطق بتلك الكلمة المباركة؛ كلمة التوحيد التي عشت لأجلها وسوف أموت عليها بإذن الله .. بدأت أحاول وأغالب الآلام: " لا، لا، لا إله إلا .." كان العرق يتصبب من على وجهي وفمي .. وعيناي تحولقان، أحسست كأن أحداً يعصر رقبتي .. لقد ازداد الألم .. وضعفت الأنفاس .. لكن يجب أن أنطق بتلك الكلمة المباركة قبل أن أموت .. إنها فرصتي التي لن تتكرر!
كان بجواري رجل يلقني شهادة التوحيد .. نعم هذا صوت والدي الحبيب:" ابنتي نور الهدى قولي:" لا إله إلا الله ".
أنا: " لا إله إلا .." حاولت مرة أخرى .. وكررت المحاولة إلى أن أعانني الله على النطق بها: لا إله إلا الله .. لا إله إلا الله .. الحمد لله ها أنذا لساني ينطق بالتوحيد .. لا إله إلا الله، بها نحيا، وعليها نموت، وبها نلقى الله .. صرت أكررها مراراً وتكراراً .. ثم فتحت عيناي .. نظرت حولي .. نظرت إلى أهلي .. نظرت إلى غرفتي .. نظرت إلى خارج النافذة .. نظرت إلى الدنيا .. وداعاً يا دنيا وداعاً!
أنا منك يا دنيا بريء أنت يا دنيا ابتلاء
وداعاً يا دنيا وداعاً .. يا من فتنتي الكثير من النـاس بزينتـك الزائفـة .. وداعـاً يـا غـدارة، وداعـاً يـا غـرارة .. وداعاً يا دار الشقاء والبلاء .. أنا الآن ذاهبـة إلـى ربـي .. فكم أحببت لقاءك يا حبيبي يا الله ..!
سمعت صوتاً من أسفل مني، يقول لي:" أما والله لقد كنتِ من أحب الذين يمشون على ظهري، فأنت الآن أحب إلي في بطني"!
ثم جاء إلي رجل حسن الهيئة، وقال لي:" يا نور الهدى أبشري برضى الله عليكِ، يا أيتها النفس الطيبة أخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان".
عرفت أنه ملك الموت يريد أن يقبض روحي .. لم أكن خائفة منه .. لأني كنت أعلم أنه صديق للمؤمنين .. رفيق بهم .. ثم هو عبد لله .. مأمور .. لا يستطيع أن يفعل شيئاً إلا بإذن ومشيئة حبيبي الله ..!
قبل أن تخرج الروح .. قاسيت سكرات الموت المؤلمة والقاسية .. سمعت صوت أمي تناديني بصوت

حزين .. إني أسمعها جيداً لكن لا أستطيع أن أرد عليها .. فتحت عيناي ونظرت إلى أبي وأمي نظرة مودع .. أريد أن أبشرهم بأن الله راضٍ عني .. وماذا قال لي ملك الموت .. لكن لم أستطع أن أنطق بشيء .. شفتاي لم تعد تقوى على الحركة .. تسارعت دقات قلبي إلى أن توقف .. وبلغت الروح الحلقوم ﴿ فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ﴾. ثم خرجت راجعة آيبة مطمئنة إلى خالقها: ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ . ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً . فَادْخُلِي فِي عِبَادِي . وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾.

أنا الآن في عداد الأموات، لا أرى، لا أتكلم، ولا أتنفس ..جثة بلا روح .. همي القبر؛ أخذت أفكر كيف سأدفن في التراب، أفكر بوحشة القبر .. بظلمته .. بضمته .. بضيقه .. بالدود الذي يأكل الأجساد .. بسؤال الملكين .. اللهم ارحمني.

القبر أبكى نبينا محمد ﷺ، وأبكى أصحابه الكرام رضي الله عنهم أجمعين .. وهم هم .. وأنا من أنا؟!

تذكرت قول الرسول ﷺ:" القبر أول منازل الآخرة، فإن ينج منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه". وتذكرت كذلك قوله ﷺ :" ما رأيت منظراً إلا والقبر أفظع منه".

ولكني كنت مطمئنة، لأن ملك الموت بشرني بأن الله يحبني وهو راضٍ عني .. فلماذا الخوف؟!

يحملني الناس على خشبات إلى المقبرة .. إلى قبري المظلم .. اللهم اجعله روضة من رياض الجنة .. وأنت وحدك القادر على ذلك.

وأنا في الطريق إلى المقبرة تذكرت أني في حياتي الدنيا كنت قد قرأت حديثاً عن النبي ﷺ ذكر فيه عن العبد الصالح أو الأمة الصالحة في القبر:" فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان:" من ربك؟" فيقول:" ربي الله " فيقولان:" ما دينك؟" فيقول:" ديني الإسلام " فيقولان:" ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟" فيقول:" هو رسول الله " فيقولان:" ما يدريك؟" فيقول: قرأت كتاب الله وآمنت به وصدقته، فينادي منادٍ من السماء: أن قد صدق عبدي فافرشوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة، فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره ".

عندما تذكرت هذا الحديث شعرت بسعادة لا توصف .. بدأت أصرخ وأقول لمن يحمل نعشي:" قدموني قدموني .. قدموني قدموني"، لكن لم يسمعني أحد منهم.

وصلوا إلى المقبرة، وأنزلوا نعشي عن أكتافهم:

وأنزلوني إلى قبري على مهلٍ وقدمـوا واحداً منـهم يلـحدني

وكشف الثوب عن وجهي لينظرني وأسبل الدمع من عينيه أغرقني

فقام محترماً بالعزم مشتملاً وصفف اللبن مـن فـوقٍ وفـارقني

أنا وحيدة الآن في قبري .. ليس معي إلا عملي .. أسمع قرع نعال الناس وهم ذاهبون .. آه يا أهلي ستتركوني وحدي الآن .. مللتم الانتظار قليلاً على قبري .. أما علمتم أني الآن أسأل .. هلاَّ دعوتم الله لي؟!

يا لظلمة المكان وضيقه .. تذكرت في الدنيا الفانية غرفتي الواسعة .. وتذكرت ألوانها المتناسقة .. وأنا الآن في هذا القبر الضيق المظلم المخيف!

شعرت بالخوف من ظلمة المكان ووحشته .. لكن ليس كثيراً لأني كنت متأكدة بأن الله راضٍ عني .. وهو يحبني وأنا أحبه .. ولن ينساني وسوف يثبتني على الإيمان والقول الثابت:﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾.

فجأة جاء ملكان أسودان أزرقان .. أنا أعرفهما .. كان والدي يكلمني عنهما في الحياة الدنيا كثيراً .. إنهما المُنكِرُ والنَّكير .. شكلهما مخيف، لكنهما لم يخفنني؛ لأني مؤمنة بالله .. وهما عبدان مأموران لا يستطيعان أن يفعلا بي شيئاً إلا بإذن الله!

أقعداني الملكان وسألاني:" من ربكِ؟"

أنا (بكل ثقة وثبات):" ربي الله "

المُنكر والنَّكير:" ما دينك؟"

أنا: " ديني الإسلام "

المُنكِر والنكير:" ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟"

أنا:" هو رسول الله "

ثم سمعت صوتاً من السماء ينادي:" قد صدقت أَمتي فافرشوا لها من الجنة وافتحوا لها باباً إلى الجنة " فأتاني من روحها وطيبها وفسح لي في قبري مد بصري!

عندما سمعت هذا النداء من السماء، ورأيت الذي رأيت .. فرحت جداً وشعرت بسعادة لا توصف .. لقد فزت .. فزت بالجنة .. ياله من فوز عظيم!

الحمد لله .. لقد عبدت الله وحده .. وجاهدت طوال حياتي لأسمع هذه الكلمات الجميلة .. لأفوز برضوان الله وجنانه .. هذه كانت أمنيتي في الحياة الدنيا والله تعالى قد حققها لي وأعطاني ما أريد.

رأيت من جمال الجنة ونعيمها وأنهارها ما لم أره في حياتي من قبل، ولم أسمع به، ولم يكن ليخطر على بالي .. رأيت غرس الأشجار آثار تسبيحي .. رأيت أنهراً في الجنة من لبن وخمر وعسل .. رأيت نعيماً وملكاً كبيراً .. رب أقم الساعة .. رب أقم الساعة وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً .

المُنكِر والنكير:" نامي يا نور الهدى "!

أنا والبسمة على وجهي وعلامات اللهفة من شدة الفرح:" وكيف أنام .. دعوني أرجع إلى أهلي فأخبرهم"!

المُنكِر والنَّكير: " نامي كنومة العروس، التي لا يوقظها إلا أحب أهلها إليها "!

وأنا في مقامي البرزخي هذا تذكرت بعض أحوالي التي كنت عليها في الحياة الدنيا .. تذكرت صلاتي، وصومي، وتلاوتي لكتاب الله .. تذكرت بُعدي وهجري لقرينات السوء .. تذكرت التزامي بالحجاب الذي أمرني الله به .. تذكرت أذى بعض الناس لي وهم يصفونني بالمتشددة والمتزمتة .. وصبري عليهم .. وما ذلك إلا لأني من أهل الحجاب والاستقامة .. نِعم التشدد الذي كنت عليه إذا كانت نتيجته هذا الذي أنا فيه من النعيم والرضوان .. كم كانت مصيبتي عظيمة لو أني أطعت قرينات السوء في الابتعاد عن ديني وحجابي، وعبادتي لله تعالى وحده .. اللهم لك الحمد أن هديتني وثبتني على صراطك المستقيم.

إليكم أيها الأحياء أبعث هذه الرسالة من قبري:

هل تودون أن تفوزوا كما فزت ..؟ إذا كان الجواب نعم فعليكم أن تصلحوا حالكم عاجلاً مع الله .. يجب عليكم أن تجاهدوا الشيطان قدر الاستطاعة .. وأن تتقوا الله ما استطعتم .. لا تغرنكم الحياة الدنيا .. ازهدوا بالدنيا .. عليكم بعبادة الله تعالى وحده .. والكفر بالطواغيت .. حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسَبوا ..!

إليك يا أيها الغافل والغافلة: إلى متى هذه الغفلة والتواني .. والتسويف .. وترك العمل .. راقبوا الله في الخلوات ولا يغرنكم طول الأمل!

وإليك يا أيها اللاهي بشهوات الدنيا المتسمن:

يا أيها المتسمن قل لي لمن تتسمن سمنت
نفسك للبلى وبطنت يا مستبطن
وأسأت كل إساءة وظننت أنك تحسن

وإليكم جميعاً:

مالي أراكم تطمئنون إلى الحياة وتركنوا يا ساكن الحجرات مالك غير قبرك مسكن
اليوم أنت مكاثر ومـفاخر تتـزين وغداً تصير إلى القبـور محنط ومكـفن!
أحدث لربك توبة فسبيلها لك ممكن واصـرف هواك لخـوفه مما تسر وتعلن

وإليك يا أمي ويا أبي: لا تنسوا ابنتكم ـ التي كانت تحبكم ـ من الدعاء .. فدعاؤكم يصلني.

وإن سألتم عني فإني مسرورة جداً .. لا تحزنوا علي .. فإني أتنعم من نعيم الجنة، أطلب ما أشاء .. لا يُرد لي طلب .. فقد وجدت ما وعدني ربي حقاً .. وإلى أن تلحقوا بي .. أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه.

20/9/2003م ظلال عبد المنعم حليمة

* * *

122- خُطباءُ الجُمعَةِ!

المأمولُ في خطبة الجمعة أن ترقى بالحضور إلى مستوى الإسلام .. إلى مستوى غاياته ومقاصده .. إلى مستوى هموم الأمة وقضاياها الهامة والمصيرية .. إلى مستوى الأحداث والخطوب التي تتهدد الأمة .. ويشعر الخطيب بهذا الارتقاء!

خُطبة الجمعة أمانة عظيمة سيُسأل عنها صاحبها .. هل أعد لها عدتها .. هل هو كفء لها أم أنه بصعوده على المنبر يتشبع بما لم يُعط وما ليس فيه .. حمله عليه حب الظهور المبكر؟!

قد سمعت لكثير من الخطباء .. وكثير منهم .. تقول: لو سكت ونزل عن المنبر .. ليته يصمت .. فإن صمته خير للناس من كلامه ..!

بل في كثير من الأحيان ـ لشدة تخبط وانحراف الخطيب وجرأته على الباطل ـ أجدني أدعو الله عليه بأن يقطع لسانه ..!!

في كل يوم جمعة يبكر الناس للصلاة .. بعد أن يكونوا قد اغتسلوا وتطيبوا .. ونظفوا آذانهم جيداً .. يقصدون الصفوف الأمامية استعداداً للاستماع إلى فارسهم .. ماذا سيقول .. وما الجديد الذي سيتحفهم به؟!

وإذ يُفاجَؤون بخطيب يُثني على الطواغيت الظالمين وعلى قيادتهم الحكيمة للبلاد والعباد، ويتملق لهم .. أو خطيب يكرر أموراً لا تُناسب مقام شعيرة الجمعة .. ولا كثافة ونوعية الحضور .. أو خطيب يتكلم ساعة ـ يُمل مسامع العباد ـ لا تعرف عما يتكلم وماذا يريد .. أو خطيب يخوض في مسائل يُخطئ فيها أكثر مما يُصيب .. أو خطيب يصعد المنبر لا ليفيد .. وإنما ليُسقط الواجب عن الحضور ..!

لا أزال أذكر مقولة أحد الملحدين الشيوعيين في بلاد الشام عندما قال: لو كنا نملك المنابر التي يملكها المسلمون .. والناس يأتوننا كما يأتون المساجد كل جمعة ليسمعوا من خطيبهم .. لجعلنا البلاد كلها شيوعية .. ولأصبح الناس كلهم شيوعيين!

نعم، نعترف بأن خطباء الجمعة في هذا الزمان ـ إلا من رحم الله ـ جزء من ظاهرة الفساد والتخلف والأمراض التي تعاني منها الأمة .. التي تستدعي العلاج المبكر!

*** * ***

123- عندما يكونُ الحكمُ لغيرِ الله!

عندما يكونُ الحكمُ لغيرِ اللهِ .. تحكم شرَيعة الغاب .. شريعة الجاهلية .. شريعة الهوى ..

شريعة الأقوياء التي لا تعرف للضعيف حقاً ولا وجوداً!

عندما يكون الحكم لغير الله .. يسود الظلم .. وتُنتهك الحرمات .. وتضيع الحقوق .. وتضطرب الموازين!

عندما يكون الحكم لغير الله .. تسود عبادة العبيد للعبيد .. ويدخل العبيد في دين وحكم العبيد .. ويتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله!

عندما يكون الحكم لغير الله .. يغيب ميزان العدل المطلق المتفق عليه بين العقلاء .. الذي به توزن الأشياء، وتُعرف حقيقتها .. وصالحها من طالحها!

عندما يكون الحكم لغير الله .. تكون الفتنة الكبرى .. ويكون الكفر والجحود .. ويكون الشرك .. ويكون الفساد والانحلال!

عندما يكون الحكم لغير الله .. تكون البشرية عرضة للهلاك والدمار والزوال!

لذا عندما يكون الحكم لغير الله .. يتعين الجهاد .. ويطيب الاستشهاد .. إلى أن يكون الحكم كله لله وحده.

كما قال تعالى:

*** * ***

!

* * *

"لا أعرف ما الذي يحدث هنا، لكنني أعرف أن هذه الأرض لم تعد كما كانت. الأشجار تتحرك، والأنهار تغير مجراها، والحيوانات تتصرف بطريقة غريبة. أشعر أن شيئًا كبيرًا يقترب، شيئًا لا نستطيع إيقافه."

"لقد رأيت ما حدث في القرى الأخرى. الناس يختفون، والبيوت تُهجر، والخوف يسيطر على كل شيء. لا أريد أن أكون الشاهد الوحيد على نهاية عالمنا."

"لا أعرف إن كنت سأعود، لكنني أعدك بأنني سأحاول. إذا لم أعد، فاعلم أنني فعلت ما كان يجب عليّ فعله. وإذا عدت، فسأخبرك بكل ما رأيت."

"أنا أثق بك، وأعلم أنك ستفعل ما هو صحيح. لكن كن حذرًا، فالطريق مليء بالمخاطر، والعدو ليس بشريًا. إنه شيء أقدم من الزمن نفسه."

"سأكون حذرًا، وسأعود بأسرع ما يمكن. انتظرني هنا، ولا تغادر المنزل مهما حدث. سأعود، وسنواجه ما يأتي معًا."

"سأنتظرك، وسأدعو لك كل يوم. عد بسلام، وعد بالحقيقة. نحن بحاجة إلى معرفة ما يحدث قبل أن يفوت الأوان."

"سأفعل ما في وسعي. وداعًا الآن، وكن قويًا. سأراك قريبًا، إن شاء الله."

"وداعًا، وكن حذرًا.

* * *

* * *

* * *

* * *

www.abubaseer.com